

محنة أهل السنة... هل تكون العراق بوابة للاختراق الشيوعي الإيراني! -1-

12-10-2005

بقلم / سعد بن عبد الله البريك

وهذه الشهادة على وجود التنكيل (المُسيّس) بأهل السنة في العراق من قبل أعلى مسئول في الدولة يصدق كل أرقام القتل والجرحى والمعتقلين وانتهاكات حرمت المساجد وتحويلها إلى حسينيات شيعة وكل أشكال الإبادة في المناطق التي يتواجد بها أهل السنة سواء كانوا أكثرية أم أقلية.. كما أن هذه المطالبة بالحد من الجرائم ضد أهل السنة من قبل أعلى مسئول في الدولة خارج الانتماء العربي والسني وحليف للاحتلال، بل ومتهم بالتنكر (للعراقية) نفسها من قبل العديد من الجهات.. تؤكد أن مزاعم الحكومة العراقية والاحتلال من أن أهل السنة يشكلون قاعدة للإرهاب إنما هي مزاعم

مع يقيني بأن الشيعة ليسوا سواء، وأن شيعة الفرس ليسوا كشيعة العرب، وأن شيعة العرب طرائق قدا، إلا أن تصريحات وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل بخصوص الأوضاع السياسية الحالية في العراق جاءت بمثابة (صيحة نذير) توقظ العقول من سبات الغفلة عن التصدي للمخططات الإستراتيجية للمستفيدين من تفاقم الفرص في المنطقة، والذين وجدوا في الساحة العراقية مرتعا خصبا برعاية أمريكية ومباركة بريطانية وتوجس متردد من الدول الفاعلة في أوروبا وآسيا.

وبينما يجهل أو يتجاهل المعنيون بالوضع من قريب أو بعيد خطورة الطموحات المذهبية في العراق وما حوله على مستقبل استقرارهم وأمنهم القومي لا سيما في الخليج، جاء التحذير من السعودية على لسان وزير الخارجية السعودي ليقرب صورة

مآلات الصراع الحالي في العراق بكل أدواته السياسية والعسكرية والفكرية على العراق نفسه وعلى المنطقة برمتها. وفي هذا السياق أعرب مجلس الوزراء السعودي "عن أمله في أن يدرك الجميع أن مصلحة المنطقة هي في بقاء العراق كياناً سياسياً عربياً إسلامياً موحداً ممثلاً لجميع أبنائه وطوائفه وبمنأى عن التدخل في شؤونه الداخلية".

والمتتبع للوضع العراقي وما يجري في أروقتة السياسية سواء على صعيد التشكيل الإداري والسياسي للحكومة العراقية الحالية أو على صعيد ارتباطها الفكري والعقدي والسياسي مع إيران أو على صعيد تنسيقها مع إدارة الاحتلال الأمريكي أو على صعيد الممارسات العسكرية (الحكومية العراقية-الأمريكية) في المدن والشوارع العراقية أو على صعيد محاولات بناء دولة العراق الحديث بدستور جديد...يدرك بجلاء طبيعة المخطط الذي يجري تنفيذه بخطوات مدروسة في اتجاه التمهيد النفسي والسياسي لقيام دويلات متفاوتة القوى وصالحة للتوظيف السياسي بل والعسكري أيضاً لتحقيق الحلم الإستراتيجي الأمريكي الكبير (الشرق الأوسط الكبير).

التحذير الذي أطلقه وزير الخارجية السعودي أشار إلى أهم محاور الخطورة في الوضع العراقي الحالي وما قد يتمخض عنه...فقد حذر من حدوث حرب أهلية عراقية طاحنة ستدمر العراق (المدمر أصلاً) ...وتدفع المنطقة إلى كارثة ...وتجر العرب إلى الصراع....كما حذر من عواقب التغلغل الإيراني في العراق ..وخطورة بنود الدستور العراقي الذي يهيئ الجو القانوني والسياسي لتقسيم العراق!

وبعيدا عن أسلوب التعميم وانطلاقا من تصريحات وزير الخارجية سعود الفيصل، نستعرض في هذا المقال في "حلقة الأولى" حقيقة التغلغل الإيراني في العراق، وعلاقة ذلك بما يحدث في مدن أهل السنة من تقتيل وإبادة على يد الميلشيات الشيعية الحزبية والقوات العراقية الحكومية تحت غطاء عسكري وسياسي وإعلامي.

وقبل ذلك، إذا استطلعنا ردود الفعل من التحذير السعودي نجده قد حظي باهتمام بالغ من قبل الأوساط السياسية في العالم، وكان من الطبيعي جدا أن تعتبره أمريكا في البداية تصريحا "غير مسئول"!!، ليس لأنه مخالف للواقع أو مفتقر للمصداقية والعقلانية في التحليل وبعد النظر ولكن لكونه يحمل في طياته تعريفا بالوضع المتردي الذي تشهده أمريكا في العراق والمتمثل في مغامراتها (التكتيكية) الطائشة مع الشيعة هروبا من جحيم المقاومة...!!! لكن الوسط السني الذي عانى الأمرين من جراء الوضع السياسي الحالي في العراق ويتوقع الأسوأ من كل المعطيات السياسية في المرحلة المقبلة (مرحلة ما بعد الدستور)، كان له موقف آخر من تصريحات الفيصل، فقد جاءت ردود الفعل من قبل التكتلات السنية في العراق مرحبة بالتحذير السعودي حيث صرح المكتب السياسي للحزب الإسلامي العراقي في بيان له على موقعه على الإنترنت أن: "تصريحات وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل بشأن العراق والتي حذر فيها من أن العراق يتجه نحو التفكك، تحمل وصفا دقيقا لحالة العراقيين وتنم عن تقدير واقعي للمخاطر التي تحيق ببلادهم"، وأن تصريحاته: "تحمل وصفا دقيقا لحالة العراقيين الذين حز في نفوسهم أن يتركوا في أتون المؤامرة وحدهم كل هذه الفترة"، وأن "أبناء العراق يتطلعون إلى

أشقاؤهم العرب جميعاً وبالأخص في المملكة العربية السعودية ليعينوهم على تجاوز المحنة وتحقيق التوافق ونبذ الفرقة فيما بينهم". وأن " نصره العراقيين في هذا الطرف العصبى واجب تقتضيه أخوة الإسلام والعروبة خصوصاً وهم يواجهون مؤامرة عاتية على عقيدتهم وهويتهم وتتواطأ عليهم إرادة الغزاة مع إرادة القوى الشعبوية الحاكمة". وفي السياق ذاته ثمن مجلس الحوار الوطنى التحذيرات السعودية واصفا إياها بأنها "أشاعت ارتياحاً في أوساط الشعب العراقى المظلوم". ومتمنيا من "باقى الأثقاء والمسلمين أن يقتدوا بمبادرة الأمير سعود الفيصل ويمزقوا جدران الصمت على مؤامرة ذبح العراق التى ستعكس تداعياتها إذا مرت لا سمح الله على عموم الوضع العربى والإسلامى فى المنطقة".

وردود الفعل هذه من قبل أكبر التكتلات السنّية فى العراق تعكس عمق الأزمة التى يعيشها أهل السنّة فى العراق فهم الخاسر الوحيد والأول على الصعيد المحلى إذا ما نجحت الحكومة فى إقرار الدستور وقبل ذلك عليهم يقع مسلسل الإبادة والتهميش والتطهير الطائفى فى كل شبر يمثله السنّة على أرض العراق السنّية وهم أيضاً من سيدفع فاتورة التقسيم فى حال وقوعه لكنهم وفى حال وقوع كارثة التقسيم أو أماراتها ومقدماتها فلن يكونوا هم الخاسر الأخير وإنما ستجر المنطقة كلها إلى صراع لا تحمد عقباه!!.

وإن أسئلة كثيرة وتساؤلات مثيرة لتفرض نفسها على كل متتبع لأحداث الشارع العراقى الآخذة فى الاستفحال والتعقيد. لماذا تواطأت القوات الأمريكية والحكومة العراقية على إبادة أهل السنّة فى العراق دون غيرهم من طوائف العراق؟ ولماذا تكون

الإبادة قبيـل أهم المنعطفات السياسية كالانتخابات ومشروع الدستور؟ وما سر علاقة الميلشيات العميلة لإيران وميلشيات الأحزاب والتكتلات الشيعية بالحكومة العراقية في الإبادة الطائفية التي تجري في مدن أهل السنة في العراق؟ ولماذا يرفض أهل السنة مشروع الدستور الجديد وتصر الطوائف الأخرى على تمريره بدعم أمريكي وإيراني متحد؟ وما هي عواقب إقرار الدستور على العراق وعلى أهل السنة فيه بل وعلى الخليج والمنطقة عموماً؟ وهل لهذه الأحداث علاقة بمشروع استراتيجي أمريكي (جديد) أو (قديم) في المنطقة؟ وما سر الانعطف السياسي الأمريكي في تحالفه المكشوف مع شيعة العراق ومن ورائهم إيران أهو خيار مدروس سلفاً قبل احتلال العراق أم تكتيك فرضته معطيات الوضع الراهنة الناجم عن شموخ المقاومة؟ وفي الإجابة عن هذه التساؤلات تتضح صورة الوضع برمته بكل خلفياته ومآلاته المتوقعة!.

أما فيما يخص "مشروع إبادة أهل السنة في العراق"، فقد أصبحت حقيقة جلية يعيشها العراق واقعا ملموسا محسوسا وتتناقل كل الإذاعات العالمية ووكالات الأنباء أخباره اليومية من قصف عشوائي بالمقاتلات الحربية وطائرات وصواريخ الآباتشي على منازل العزل وتقتيل جماعي على يد الميلشيات الشيعية المنظمة وتهجير من المدن والقرى واعتقالات جماعية واختطافات سرية ومداهمة للبيوت والمساجد واختطاف العلماء وانتهاكات صارخة لحقوق الإنسان في أبشع صورها بكل أنواع التعذيب والتنكيل في الفلوجة والسماوة وتلعفر والرمادي والموصل وبغداد والحديثة والبصرة وغيرها، حتى أصبحت أخبار التنكيل وإبادة أهل السنة في العراق مستفيضة لدى الرأي العام العالمي وعارية عن كل المبررات التي ترددها الحكومة العراقية

والاحتلال الأمريكي لتسويغ حربها على أهل السنة، حتى إن الناطق باسم هيئة علماء المسلمين مثنى حارث الضاري وصف ما تقوم به القوات العراقية بـ"الإرهاب" ضد أهل السنة، كما وصفت بيانات هيئة علماء المسلمين في العراق عمليات الحكومة العراقية بـ"إرهاب المؤسسات الأمنية"، وكذلك صرح الأزهر في بيان له بأن الذي يحدث في العراق هو إرهاب تمارسه أمريكا في أرض الواقع وأصبحت صحف الاحتلال نفسها في بريطانيا وأمريكا تتناول موضوع الانتهاكات الوحشية لقوى الأمن العراقي وميليشياتها في تقارير لا تقبل التأويل بل وتستغرب من صمت الحكومات عن ذلك.

فقد وصف تقرير لصحيفة "الأبزيرفر البريطانية" بتاريخ 5/7/25 بأن عنف القوات العراقية "أصبح أكثر سخونة وبدرجة كبيرة وتبدو وكأنها استعمال لحرب العنف المضاد القذرة!"، وأن "ما يصدم المرء هنا هو أن ما حدث وما يحدث، يمر تحت أنوف الرسميين البريطانيين والأمريكيين"، وأن "هناك سؤال عن المدى الذي ذهب إليه القمع"، و"إن من غير الطبيعي أن تبقى الحكومات ساكنة". ولم يكن الكاتب الأمريكي والصحافي المستقل ستيفن فينسنت إلا ضحية من ضحايا المؤامرة الطائفية، فقد عثر عليه مقتولا بعد 4 أيام من نشر المقال الذي انتقد "تنامي الأصولية الشيعية في البصرة"، بحسب تصريحات السفارة الأمريكية بالعراق نفسها.

وكان فينسينت قد اختطف من فندقه بعد أن كتب المقال في صحيفة "نيويورك تايمز" واتهم مسئولين بريطانيين بالسماح للأحزاب الشيعية بالتسلل إلى شرطة البصرة، وكان قد قضى

شهرين كاملين في جمع معلومات شديدة الخطورة في هذا الشأن وعازما على إخراجها في كتاب يكشف طبيعة المؤامرة.

وقد كانت صرخة وفد "القوى العراقية المناهضة للاحتلال" في رسالته التي وجهها للأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى بتاريخ (8-12-24) تعبيرا يشكل إجماعا عراقيا (يشمل حتى بعض الشيعة المعتدلين) على النوايا الأمريكية بزرع فتيل فتنة طائفية حيث جاء في الرسالة:

معالي الأستاذ عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية
المحترم

تحية طيبة وبعد:

"تعلمون سيادتكم أن الاحتلال الأمريكي قد انتهك سيادة العراق وسلامته الإقليمية وشكل تحديا خطيرا ليس لاستقلال وسيادة ووحدة أراضي العراق ورفات أبنائه فحسب بل ولاستقرار وأمن دول المنطقة وللعلاقات الدولية المبنية على القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة. ومنذ احتلالها للعراق مارست قوة الاحتلال الأمريكية سياسة تهدف إلى بذر الفتنة الطائفية والعرقية بين أبنائه والسعي لإعادة تركيب المؤسسات السياسية والإدارية العراقية على قواعد استحدثتها للتقسيم العرقي والطائفي والمذهبي وطمس الهوية الحضارية والثقافية والوطنية للشعب العراقي وإضعاف انتمائه الوطني والقومي والديني"، إلى آخر ما تضمنته الرسالة.

هذا من حيث المؤشرات العامة على وجود حرب طائفية مقننة ضد أهل السنة بشهادات غريبة ومحلية، أما على الصعيد الميداني للأحداث، فلا أعتقد أن أحدا يشكك في طبيعة المجازر

التي وقعت على مسمع ومرأى من العالم طيلة وجود الاحتلال وعلى الأخص في المناطق السنية، فالدمار الذي شهدته الفلوجة على مرأى ومسمع من العالم لا يزال شاهدا بمقابره الجماعية بما فيها ملعب كرة القدم الذي يغطي تحت أديمه حوالي سبعمائة شهيد شاهد على المجزرة التي لحقت بأهل السنة هناك. وما شهدته تلعفر مؤخرا شاهد آخر على تواصل "مشروع الإبادة لأهل السنة في العراق" وما بين الفلوجة وتلعفر مشاهد أخرى لا تقل ضراوة في التقتيل والتهجير والبطش والاعتصاب وكل أشكال الإذلال!!

ولسائل أن يسأل أليس كل ذلك من أجل مكافحة الإرهاب؟ والجواب ما يجيب به شهود العيان الرسميون في العراق وليس تصريحات الناطق باسم وزارة الخارجية الأمريكي ولا الناطق باسم البنتاغون الأمريكي، ولا ما تروجه الحكومة العراقية وإعلام الميليشيات الشعية ولا حتى المحلل السياسي على قناة الجزيرة. فحينما أعلن الزرقاوي أن أمريكا تدعم الميليشيات الإيرانية للتنكيل بأهل السنة لاشتراكهما في مصالح إستراتيجية في العراق لم تكذبه كل التكتلات السنية المعترف بها رسميا في العراق ليس تأييدا لخطه وبرنامجه في المقاومة، ولكن لأنها الحقيقة المرة التي جاءت على لسانه ولا يمكن بأي حال إنكارها! بل إن وزير الدفاع العراقي السابق حازم الشعلان كشف حقائق غاية في الخطورة بحكم اطلاعه شخصيا على حقيقة سير العمليات العسكرية في العراق ومشاركته في الحكومة، فقد كشف في عمان في مقال نشرته الشرق الأوسط بتاريخ 18 شعبان من هذا العام أن: "الكثير من المسؤولين في الجمعية الوطنية يعملون الآن لصالح المخابرات الإيرانية". وأطلق رئيس الجمهورية نفسه إثر خلافات مع رئيس

الحكومة إبراهيم الجعفري مفاجأة لم تكن في الحسبان، كشف فيها التنكيل المتعمد من قبل الحكومة العراقية المدعومة أمريكيا وإيرانيا بشأن أهل السنة وإن كان لم يشر إلى التدخل الإيراني، مما يعكس خطورة الوضع إلى حد لا يمكن معه السكوت!! فقد نشرت جريدة الحياة قبل أيام قليلة مطالبة الزعيمين الكرديين رئيس الجمهورية جلال طالباني ورئيس إقليم كردستان مسعود بارزاني لرئيس الوزراء إبراهيم الجعفري بإنهاء حد لـ"الجرائم الكيفية بحق السنة العرب".

وهذه الشهادة على وجود التنكيل (المُسيّس) بأهل السنة في العراق من قبل أعلى مسئول في الدولة يصدق كل أرقام القتل والجرحى والمعتقلين وانتهاكات حرمت المساجد وتحويلها إلى حسينيات شيعة وكل أشكال الإبادة في المناطق التي يتواجد بها أهل السنة سواء كانوا أكثرية أم أقلية.. كما أن هذه المطالبة بالحد من الجرائم ضد أهل السنة من قبل أعلى مسئول في الدولة خارج الانتماء العربي والسني وحليف للاحتلال، بل ومتهم بالتنكر (للعراقية) نفسها من قبل العديد من الجهات.. تؤكد أن مزاعم الحكومة العراقية والاحتلال من أن أهل السنة يشكلون قاعدة للإرهاب إنما هي مزاعم لذر الرماد في العيون وضمان غطاء إعلامي مقنع لتبرير مسلسل الإبادة العرقية.

والملفت للأنظار أن أمريكا وبعد أن أفادت أن تصريحات الفيصل غير مسئولة- عادت وصرحت على لسان وزير خارجيتها لشؤون الشرق الأوسط دافيد ويلش: أنه يتفهم قلق المملكة إزاء "الاختراق الإيراني"، معتبرا أن انتقادات وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل الأخيرة لواشنطن "لها ما يبررها"، ورغم أنه نفى تورط أمريكا في التحالف مع الحكومة الإيرانية في ذلك، إلا أنه

أقر بوجود خطر إيراني وبخاصة في جنوب العراق "سببه ضعف البنية السياسية والعراقية التي تسمح بتغلغل خفي للنفوذ الإيراني".

لكن وضع العمليات العسكرية والتسهيلات اللوجيستية والسياسية للميليشيات والتكتلات الشيعية تؤكد ضلوع أمريكا في مسلسل تهميش وتغيب أهل السنة من الوجود السياسي في العراق لصالح التمكين للطائفة الشيعية ما دامت تخدم الإستراتيجية الأمريكية في العراق والمنطقة عموماً. ومما يبعث على العجب إصرار من يغرد خارج السرب على قنواته المسييسة في برنامج "لقاء خاص"، حيث يرى أن لا دليل حتى الآن يثبت تدخل إيران في شؤون العراق، وأن قيام دولة شيعية في العراق لا يمثل أية مشكلة، وهذا التصريح بقدر ما يعبر عن قصوره السياسي في إدراك أكثر الحقائق السياسية على أرض العراق وضوحاً يعبر أيضاً عن قصوره في تصور مخاطر الامتداد الفكري والسياسي لإيران في المنطقة اللهم إلا إذا كان يملك من الضمانات الأمريكية والإيرانية ما يجعله في منأى عن ذلك فحينئذ يمكن الحكم على هذا القصور بالبراءة التامة لكن التهمة بالتخذييل على وزن (التطبيع) لن تزول.

ويبقى السؤال مطروحاً: إذا لم يكن مسلسل التطهير لأهل السنة له علاقة بالحرب على الإرهاب في العراق، فإلى أي شيء يهدف؟!.